

مغامرات

شيرلوك هولمز

تأليف:
آرثر كونان دويل



لُغز العِصَابَةِ الرَّقْطَاءِ



الأجيال
للترجمة والنشر
Amly Publishers

المكتبة العربية
www.tipsclub.net
Amly

بالرسومات الأصلية



مغامرات

شيرلوك هولمز

(٨)

لُغز العِصَابَةِ الرَّقْطَاءِ

نُشرت للمرة الأولى في صحيفة «ستراوند» الشهرية
في عدد شباط (فبراير) ١٨٩٢

تأليف: آرثر كونان دويل
ترجمة: سالي أحمد حمدي
تحرير: رمزي رامز حسون



الأجيال

للترجمة والنشر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



آرثر كونان دويل

وُلد آرثر كونان دويل لأسرة متوسطة الحال في إدنبرة في إسكتلندا في الثاني والعشرين من أيار (مايو) عام ١٨٥٩، والتحق بكلية الطب فيها وعمره سبعة عشر عاماً. وكان من مدرّسيه في الكلية الجراح الشهير الدكتور جوزيف بل، وهو الذي أوحى إليه بشخصية شيرلوك هولمز التي ابتكرها بعد ذلك.

في عام ١٨٨٢ حصل دويل على شهادة الطب من جامعة إدنبرة، وكان يحلم بأن يصبح جراحاً وخبيراً في التشخيص مثل الدكتور بل، ولكن قلة المال اضطرته إلى العمل طبيباً على سفينة لصيد الحيتان.

حقوق الطبع محفوظة للناسر
شركة الأجيال للترجمة والنشر والتوزيع

يُمنع نقل أو تخزين أو إعادة إنتاج أي جزء من هذا الكتاب
بأي شكل أو بآية وسيلة: تصويرية أو تسجيلية أو إلكترونية
أو غير ذلك إلا بإذن خطي مسبق من الناسر

الطبعة الأولى

٢٠٠٧

العنوان الإلكتروني للناسر
info@al-ajyal.com

موقعنا على الإنترنت
www.al-ajyal.com

غلاسكو أو إدنبرة، وقد ذهب هناك بمحض إرادته. إن سحب كل أمواله من البنك يشير إلى الهروب المتعمّد، والحفل الذي كان فيه ينتهي في الساعة الحادية عشرة، ولمّا كان قد أبدل ملابسه بعد عودته فلا بدّ أنه كان ينوي القيام برحلة، والقطارات السريعة المتجهة إلى إسكتلندا تغادر محطة كينغز كروس عند منتصف الليل". وقد عُثر على الرجل في إدنبرة فعلاً!

كان آرثر كونان دويل رياضياً متعدد المواهب، فقد مارس الملاكمة وكرة القدم والبولينغ والكريكت، وكان خطيباً موهوباً ومحاضراً ناجحاً ومحاوراً بارعاً، وقد ذاعت آراؤه وأفكاره المتنوعة في الطب والعلم والأدب والسياسة والاجتماع.



وفي عام ١٩٠٠ تطوّر الدكتور دويل في حرب البوير (في جنوب إفريقيا) وصار كبيراً للجراحين في واحد من المستشفيات الميدانية، وفي نهاية الحرب مُنح وسام الفروسية ولقب «سير» تقديراً لخدماته. وقد أصدر بعد عودته

بعد ذلك مارس مهنته في منزل صغير استأجره في بعض ضواحي بورثسماوث، ولكن عدد المرضى كان قليلاً فاتجه إلى الكتابة أملاً في الحصول على بعض الدخل الإضافي. وقد كتب بعضاً من قصص المغامرات لمجلاّت الفتيان، ولكن أجره عنها كان ضئيلاً، وفشلت روايته الأولى في العثور على ناشر.

وفي غمرة إحساسه باليأس فكّر في أساليب الدكتور بل في التشخيص وقرر أن يستخدمها في قصة يكون بطلها واحداً من رجال التحري؛ وهكذا وُلد شيرلوك هولمز في رواية «دراسة قرمزية» التي نشرها دويل سنة ١٨٨٧.

لقد ابتكر دويل شخصية تفيض بالحياة، حتى إن الجماهير رفضت أن تصدق أنها شخصية خيالية! وكان المؤلف يتلقّى بانتظام خطابات موجهة إلى هولمز تطلب مساعدته في حل قضايا حقيقية، وبعض هذه القضايا أدّى إلى كشف قدرة دويل نفسه.

كانت إحدى هذه الحوادث تتعلق برجل سحب كل أمواله من البنك وحجز غرفة في أحد فنادق لندن، ثم حضر حفلاً عاد بعده إلى فندقه حيث أبدل ملابسه ثم اختفى. وعجز رجال الشرطة عن اكتشاف مكانه، وخشيت أسرته أن يكون قد أصيب بسوء، لكن دويل حلّ المشكلة سريعاً إذ قال: "سوف تجدون رجلكم في



شيرلوك هولمز وعالمه

ربما كان شيرلوك هولمز أشهر الشخصيات الخيالية في التاريخ، بل إنه يكاد يفوق في شهرته كثيراً من مشاهير العالم الحقيقيين. وقد بلغ من شهرة هذه الشخصية أنها فاقت شهرة مبتكرها، آرثر كونان دويل.

استوحى دويل شخصية هولمز وصفاته من الدكتور جوزيف بل الذي درّسه في كلية الطب. كان الدكتور بل يتمتع بموهبة عظيمة في الملاحظة وأسلوب التفكير المنطقي، وكان يثير اهتمام تلاميذه بقدراته الاستنتاجية الفذة، فهو لم يكن ماهراً فقط في التعرف على علل المرضى، بل وفي معرفة شخصياتهم ومهنتهم وتفصيلات خفية عنهم أيضاً. كان يقول لأحد المرضى مثلاً: "أنت ضابط سُرح من الجيش حديثاً، وقد عدت لتوك من بريادوس، وأنت تعاني من داء الفيل". وبعد أن تسيطر الدهشة على المريض والطلبة

إلى إنكلترا كتاباً مهماً عن هذه الحرب.

وتوفي السير آرثر كونان دويل في السابع من تموز (يوليو) عام ١٩٣٠ بعد أن بلغ الحادية والسبعين، بعد ثلاث سنوات من كتابة آخر قصصه عن شيرلوك هولمز وبعد مرور أكثر من أربعين عاماً على أول ظهور علني لهذه الشخصية الخارقة.

* * *

وكان يقيم في شارع بيكر في العاصمة البريطانية لندن، ورقم البيت الذي يقيم فيه هو «٢٢١ب». وقد لا نبالغ إذا قلنا إن هذا العنوان (٢٢١ب شارع بيكر) هو أشهر عنوان في العصر الحديث! وقد برع هولمز في كشف الجرائم وحل الألغاز الغامضة بفضل دقة ملاحظته وقدرته العظيمة على الاستنتاج والتحليل المنطقي، بالإضافة إلى غزارة معلوماته وإطلاعه الواسع على العلوم المختلفة.

أما الدكتور واatson، صديق هولمز ومساعدته الذي يرافقه في قصصه كلها، فلا يكاد يقل شهرة عن هولمز نفسه، وهو رَاوِيَةُ القصص الذي يقصها علينا (كما فعل بعد ذلك هيستغز في كثير من مغامرات بوارو). وهو طبيب وُلد نحو سنة ١٨٥٢ وتخرج طبيباً سنة ١٨٧٨، ثم انضم إلى الجيش سنة ١٨٨٠ وأمضى مدة خدمته في أفغانستان مع الجيش البريطاني، ثم عاد إلى بلده وتقاعد من الجيش بعدما أصيب في إحدى المعارك، وعندها تعرف إلى شيرلوك هولمز في مختبر الكيمياء بمستشفى ستامفورد في أوائل سنة ١٨٨١، ولم يفترق الصديقان بعد ذلك قط. وقد تزوج الدكتور واatson في أواخر سنة ١٨٨٦، لكن دويل لم يشأ أن يعرفنا إلى زوجته ولم يذكر لنا اسمها.

في قصة «المشكلة الأخيرة» التي نُشرت في نهاية

على السواء يشرح الدكتور بل الأمر قائلاً إن الرجل يبدو جندياً من هيتته، وعدم خلع قبعته عند دخوله الغرفة يدل على أنه ترك الخدمة حديثاً، وهو يملك مظاهر السلطة كتلك التي توجد لدى الضباط، وتدل بشرته التي لَوَحَتْها الشمس والمرض الذي يشكو منه على أنه جاء من منطقة استوائية، وقد جاء من بربادوس لأن هذا المرض بالذات منتشر هناك!

«وُلد» شيرلوك هولمز -في عالمه الخيالي- سنة ١٨٥٤ وحصل على شهادة جامعية لم يحددها دويل، ثم احترف مهنة «محقق خاص» منذ نحو سنة ١٨٧٨،



قصص شيرلوك هولمز

أول قصة نشرها دويل كانت في عام ١٨٧٩، وهي قصة قصيرة عنوانها «إفادة السيد جفسون»، أما أول رواية نشرها من بطولة شيرلوك هولمز فكانت «دراسة قرمزية»، وقد صدرت في بريطانيا عام ١٨٨٧ فلم يكد يُحسّ بها أحد، لكنها حققت نجاحاً معتدلاً في الولايات المتحدة. وبعدها نشر رواية طويلة ثانية من بطولة شيرلوك هولمز، وهي رواية «علامة الأربعة» التي نُشرت عام ١٨٩٠ فوطّدت شخصية هولمز في بريطانيا وأمريكا على السواء.

وفي السنة التالية (١٨٩١) بدأ نشر مجموعة «مغامرات شيرلوك هولمز» في حلقات شهرية في مجلة «ستراند»، بدءاً بقصة «فضيحة في بوهيميا» التي ظهرت في عدد تموز (يوليو)، فقبولت هذه القصص بنجاح كبير غير مسبوق في تاريخ الصحافة البريطانية، ودخلت هذه الشخصية الخيالية التاريخ من بابه الواسع، حيث صارت حديث المجتمع وشغل الناس في أنحاء البلاد.

عام ١٨٩٣ «قتل» دويل بطله شيرلوك هولمز، لكنه واجه احتجاجاً عارماً من جماهير القراء فقرر إعادة إحياء هذه الشخصية الخيالية من جديد، فعاد هولمز إلى الظهور مرة أخرى في أواخر عام ١٩٠٣ ليستأنف حل القضايا الغامضة.

* * *



التَّبَتِّ لمساعدة اللاما الكبير، ثم عاد إلى لندن ليحقق في وفاة ابن أحد اللوردات بطريقة غامضة. وقد أثارَت عودة شيرلوك هولمز في مجلة «ستراوند» في بريطانيا ومجلة «كوليز» في أمريكا حماسة بالغة في نفوس عشاقه المخلصين وحققت للمجلتين مبيعات غير مسبوقة. واستمر نشر سلسلة «عودة شيرلوك هولمز» (التي بلغ عدد حلقاتها ثلاث عشرة حلقة) حتى كانون الأول (ديسمبر) ١٩٠٤.

وكان دويل قد نشر قبل هذه السلسلة رواية شيرلوك هولمز الطويلة الثالثة «كلب عائلة باسكرفيل»، وقد استمر نشر حلقاتها من آب (أغسطس) ١٩٠١ إلى نيسان (أبريل) ١٩٠٢، وهي أشهر روايات شيرلوك هولمز على الإطلاق.

وبعدها صدرت سلسلة «الظهور الأخير» التي تضم سبع قصص نُشرت على حلقات متباعدة بين أيلول (سبتمبر) ١٩٠٨ وكانون الأول (ديسمبر) ١٩١٣، ثم الرواية الطويلة الرابعة «وادي الرعب» (١٩١٤/٩-١٩١٥/٥)، وهي أعظم روايات شيرلوك هولمز كما يقول النقاد. وأخيراً سلسلة «قضايا شيرلوك هولمز» (١٩٢١/١٠-١٩٢٧/٤) التي نُشرت آخر حلقاتها بعد أربعين سنة تماماً من صدور أولى روايات شيرلوك هولمز.

وقد بلغ عدد قصص هذه السلسلة اثنتي عشرة نُشر آخرها في عدد حزيران (يونيو) من عام ١٨٩٢. ثم ظهرت سلسلة «ذكريات شيرلوك هولمز» التي نُشرت في اثنتي عشرة حلقة أيضاً صدر أولها في كانون الأول (ديسمبر) ١٨٩٢، ويبدو أن دويل بدأ يملّ عندئذ من كتابة قصص شيرلوك هولمز، ولذلك «قتله» في آخر قصة من هذه المجموعة في معركة مع البروفسور موريارتي الشرير عند شلالات رايشنباخ في سويسرا! وقد نُشرت هذه القصة (وعنوانها «المشكلة الأخيرة») في كانون الأول (ديسمبر) عام ١٨٩٣.

وثار جمهور دويل غضباً وانهالت عليه ألوف الخطابات تستنكر عمله وخسرت المجلة عشرين ألف اشتراك، ولكن دويل تمسك بموقفه، فقد شعر بأن شيرلوك هولمز يحول بينه وبين أعمال أكثر أهمية. ثم وافق أخيراً بسبب الإلحاح الذي لم ينقطع على «بعث» شيرلوك هولمز، فأعاده إلى العمل في قصة «مغامرة المنزل الخالي» التي نُشرت في مجلة «ستراوند» في تشرين الأول (أكتوبر) عام ١٩٠٣.

وعاد شيرلوك هولمز إلى الأضواء من جديد؛ فقد تبين أنه لم يُقتل على الإطلاق، وفي تلك القصة (المنزل الخالي) شرح دويل كيف نجا هولمز من الموت بأعجوبة، ثم شقّ طريقه بعد ذلك إلى بلاد



رسم شيرلوك هولمز الأشهر

تعاقب على رسم شخصية شيرلوك هولمز عدد من الرسامين، لكن أشهرهم وأعظمهم -بلا خلاف- كان الرسام الإنكليزي سدني باجيت الذي صاحب روايات هولمز وقصصه منذ ولادتها المبكرة، وهو الذي بلّور صورة شيرلوك هولمز وطبعها في عيون القراء على مدار السنين.

والغريب أن المجلة لم تسع ابتداءً خلف سدني باجيت بل خلف أخيه الأكبر ولتر الذي كان قد نجح في رسم رسومات قصتي «جزيرة الكنز» و«روينسون كروزو»، لكن خطأ في الاتصالات تسبب في دعوة سدني، الأخ الأصغر، لرسم صور القصص الست

ولم تقتصر مؤلفات آرثر كونان دويل على قصص وروايات شيرلوك هولمز، فقد ألف كتباً كثيرة غيرها، منها روايات تاريخية ورومنسية ومسرحيات، بالإضافة إلى عدد كبير من الكتب والدراسات الغير الروائية.

والحقيقة أنه كان كاتباً غزير الإنتاج، فقد بلغ ما تركه من المؤلفات نحو مئة وستين، منها ستون من قصص وروايات شيرلوك هولمز، وخمس روايات من بطولة شخصية خيالية أخرى ابتكرها هي شخصية عالم اسمه البروفيسور تشالنجر، وأشهر هذه الروايات هي «العالم المفقود»، ونحو أربعين رواية من الروايات المتنوعة، بالإضافة إلى عشر مسرحيات، وأربعة دواوين شعرية، وأكثر من خمسين كتاباً وكتيباً في الشؤون الاجتماعية والسياسية والعسكرية، وكتاب ذكرياته الجميل الذي سماه «ذكريات ومغامرات».

* * *

لُغز العِصَابَةِ الرَّقْطَاءِ

الأولى التي نشرتها مجلة «ستراند» في النصف الثاني من عام ١٨٩١، وعلى إثر النجاح الهائل الذي لقيته هذه القصص مع رسوماتها التصق سدني باجيت بأثر كونان دويل لتصبح رسومات هذا بنفس أهمية كتابه ذاك في عالم شيرلوك هولمز. وقد استمر سدني باجيت برسم الصور لقصص وروايات شيرلوك هولمز حتى وفاته عام ١٩٠٨، وبلغ عدد ما رسمه خلال هذه السنوات ٣٥٧ رسماً زينت ٣٨ قصة.

وحين توفي سدني استعانت مجلة «ستراند» برسمامين آخرين، فشارك في رسم السلسلة الجديدة «الظهور الأخير» كل من ولتر باجيت، الأخ الأكبر لسدني، وأرثر تويدل وجلبرت هاليدي وأليك بول وجوزف سمبسون. أما السلسلة الأخيرة -وهي «قضايا شيرلوك هولمز»- فقد رسمها ثلاثة من الرسامين هم أ. جلبرت وهاوارد إلكوك وفرانك وايلز.

هذا في نسخة هولمز البريطانية التي نشرتها مجلة «ستراند»، أما في أمريكا فقد استعانت مجلة «كوليزز» بعدد من الرسامين أشهرهم فردريك دور ستيل، ومنهم وه هايد وجوزف فريدريش ورتشارد غوتشمت.

حين ألقى نظرة سريعة على سجلاتي الخاصة
بالقضايا السبعين الغربية التي قمت فيها بدراسة أساليب
صديقي شيرلوك هولمز خلال الأعوام الثمانية الماضية
أجد الكثير منها مأساوياً، وبعضها مضحكاً، وعددًا
كثيراً منها غريباً فحسب، ولكن ليس بينها ما هو عادي
على أية حال؛ ذلك لأن صديقي كان يعمل من منطلق
حب عمله وفنه وليس من أجل الحصول على ثروة،
ولذلك كان يرفض أن يربط نفسه بأي تحقيق لا يغلب
عليه طابع الغرابة والتشويق، وربما الخيال الجامح
أيضاً. ومن بين كل هذه القضايا المتنوعة لا أستطيع
أن أذكر أي قضية تقدم ملامح أكثر غرابة من تلك التي
ارتبطت بعائلة رويلوت المعروفة والتي كانت تقيم في
ستوك موران في إقليم صَرْي.

وقد وقعت أحداث هذه القضية في الأيام الأولى
التي جمعتني بهولمز حين كنا نسكن معاً في شارع
بيكر قبل زواجي، وكان من الممكن أن أنشرها من
قبل لولا أننا قطعنا على أنفسنا في ذلك الوقت وعداً
بالحفاظ على سرّية القضية، وهو وعد أجدني وقد
تحررت منه في الشهر الماضي بسبب الوفاة المبكرة
للسيدة التي قُدم الوعد لها. وبالإضافة إلى ذلك فلعلّ

أمرتهم فذلك يعني - كما أفترض - أن في الأمر شيئاً
قليلًا. قد تكون قضية مثيرة للاهتمام وأنا متأكد أنك
ستحب أن تتابعها من بدايتها، ولذلك فكرت أن عليّ
أن أوقفك لأمنحك الفرصة.

قلت: يا صديقي العزيز، لن أفوتها بأي ثمن.

إن أكثر الأمور متعة بالنسبة لي هي متابعة هولمز
في تحقيقاته المهنية، وكم يطربني أن أتأمل سرعة
استنتاجاته التي يصل إليها بسرعة البديهيات، ومع
ذلك فهي دائماً مبنية على أساس منطقي يستطيع به
حلّ القضايا الموكولة إليه. لذلك فقد ارتديت ملابسني
بسرعة وصرت جاهزاً في دقائق قليلة لمصاحبة
صديقي إلى غرفة الجلوس في الطابق العلوي، وفور
دخولنا هتت واقفةً من مقعدها بجوار النافذة سيدة
ترتدي السواد وتغطي وجهها بنقاب ثقيل.

قال هولمز بمرح: صباح الخير يا سيدتي. أنا
شيرلوك هولمز، وهذا هو صديقي الحميم وزميلي
الدكتور واطسون؛ يمكنك التحدث أمامه بنفس الحرية
التي يمكنك التحدث بها أمامي. حسناً، أنا سعيد لأنّ
السيدة هدسون امتلكت من حسن التفكير ما دفعها إلى
إشعال النار. أرجو أن تقتربي منها، وسأطلب لك كوباً
من القهوة الساخنة لأنني ألاحظ أنك ترتجفين.

من الأفضل أن تظهر الحقيقة إلى النور الآن، لا سيما
والشائعات المنتشرة بشأن موت الدكتور غريمسبي
رويلوت، ومن شأن تلك الشائعات أن تصوّر الأمر
بأسوأ من حقيقته.

كنا في أوائل شهر نيسان (أبريل) من عام ١٨٨٣
عندما استيقظت ذات صباح لأجد شيرلوك هولمز
مرتدياً ملابسه كاملة وواقفاً بجوار سريري. كانت
الساعة الموجودة على المدفأة تشير إلى السابعة
والربع، ولأنه كان معتاداً على الاستيقاظ المتأخر فقد
نظرت إليه ببعض الدهشة، بل ربما بقليل من الاستياء
لأنني نظامي في عاداتي.

قال هولمز: أنا آسف جداً لأنني روّعتك يا
واطسون، ولكنه حظنا المشترك هذا الصباح؛ فقد
روّعت السيدة هدسون فردّت الأمر عليّ ثم رددته أنا
عليك.

- ما هو الأمر إذن؟ حريق؟

- لا، بل عميل. يبدو أن شابة قد وصلت وهي
في حالة من الانفعال الشديد وتصرّ على رؤيتي،
وهي تنتظر الآن في غرفة الجلوس. وعندما تتجول
السيدات الصغيرات في المدن الكبيرة لتوقظ الناس
بهذه الطريقة في هذا الوقت من الصباح وتُخرجهم من

عمرها، بينما غزا الشيب المبكر شعرها وارتسم القلق والإرهاق على تعبيرات وجهها.

تفحصها شيرلوك هولمز بنظرة من نظراته الشاملة السريعة، ثم انحنى إلى الأمام وربّت على كتفها وهو يقول مهدّناً: لا تخافي، فلا شك في أننا سنضع الأمور في نصابها الصحيح قريباً. لقد أتيت بالقطار هذا الصباح كما أرى.

- أنت تعرفني إذن؟

- لا، ولكنني لاحظت في كَفِّ قفازك الأيسر النصف الثاني لتذكرة العودة. لا بد أنك بدأت رحلتك مبكراً بالرغم من أنك قمت برحلة طويلة في عربة صغيرة بحصانين على طريق موحل قبل أن تصلني إلى المحطة.

جفلت السيدة بقوة وحدّقت إلى رفيقي بذهول، فقال هولمز مبتسماً: ليس في الأمر غموض يا سيدتي العزيزة، فالذراع اليسرى لسترتك مُلَطَّخة بالوَحْل فيما لا يقل عن سبعة أماكن، والأثار كلها حديثة تماماً، والعربة الصغيرة ذات الحصانين هي المركبة الوحيدة التي تشر الوحل إلى الأعلى بهذه الطريقة عندما تجلسين على جانب السائق الأيسر.

قالت: أياً كانت الأسباب التي دعتك إلى هذا

فقالت المرأة بصوت منخفض وهي تنتقل إلى كرسي آخر كما طلب منها: ليس البرد ما يجعلني أرتجف.

- ما السبب إذن؟

- إنه الخوف يا سيد هولمز... الرعب.

رفعت عن وجهها النقاب فاستطعنا أن نرى حقاً أنها في حالة احتياج يدعو إلى الشفقة، فقد كان وجهها متعباً شاحباً وعيناها قلقتين خائفتين كعيني حيوان مطارد. كانت ملامحها وقوامها لامرأة في الثلاثين من



Sydney Paget 1892

رسم سديني باجيت ١٨٩٢

أن يساعدنا في تكوين رأي عن الموضوع.

فاجبت زائرتنا قائلة: للأسف إن ما يجعل موقفني أكثر رعباً هو حقيقة أن مخاوفي غير محدّدة وشكوكي تعتمد كلياً على نقاط صغيرة قد تبدو تافهة في نظر الآخرين، حتى إن الشخص الوحيد الذي أملك الحق في اللجوء إليه وطلب نصيحته قد نظر إلى الأمر كما لو كان أوهام امرأة مجنونة! وبالرغم من أنه لم يقل ذلك صراحة إلا أنني استطعت أن أستشفه من إجاباته المهدئة وعينيه اللتين تتجنبان النظر إليّ. ولكنني سمعت أنك تستطيع النظر بعمق في خبايا الشر الموجود في النفس البشرية يا سيد هولمز، فهل يمكنك أن تنصّحي حتى أستطيع المشي وسط الأخطار التي تحيط بي؟

- كلي انتبه يا سيدتي.

- اسمي هو هيلينا ستونر، وأنا أقيم حالياً مع زوج أمي، وهو الشخص الوحيد الباقي على قيد الحياة من عائلة من أقدم العائلات السكسونية في إنكلترا، وهي عائلة رويلوت التي كانت تقيم في ستوك موران على الحدود الغربية لمقاطعة صريّ.

هزّ هولمز رأسه وقال: الاسم ليس غريباً على

مسامعي.

الاستنتاج فأنت على حق تماماً، فقد بدأت رحلتي من المنزل قبل السادسة ووصلت إلى محطة ليدز هيد في السادسة والثلاث، ومنها انتقلت بأول قطار إلى محطة واترلو. فأنا يا سيدي لا أستطيع تحمّل هذا التوتر أكثر من ذلك، وإذا استمر فسوف أجنّ بالتأكيد! ليس لي أحد ألبأ إليه... لا أحد سوى شخص واحد، شخص يهتم بأمري ولكنه لا يستطيع مساعدتي. لقد سمعت بك يا سيد هولمز من السيدة فارينتشوس التي ساعدتها في وقت عصيب، وقد أخذتُ منها عنوانك. أه يا سيدي، أتظن أن بإمكانك مساعدتي أنا أيضاً؟ ليس بوسعي أن أكافئك على خدماتك في الوقت الحاضر، ولكن في خلال شهر أو ستة أسابيع سأزوج وأتحكم في دخلي الخاص، ووقتها على الأقل لن تجدني جاحدة لمعرفتك.

اتجه هولمز إلى مكتبه فسحب دفترأ يسجل فيه القضايا وبدأ يراجعها، ثم قال: فارينتشوس؟ نعم، أذكر تلك القضية، كانت تتعلق بتاج الأوبال. أظن أنها كانت قبل أن أعرفك يا واطسون. كل ما يمكنني قوله - يا سيدتي - هو أنه يسعدني أن أكرّس لقضيتك مثل الاهتمام الذي أوليته لقضية صديقتك، أما بالنسبة للمكافأة فعملي هو مكافأة في حد ذاته، ولكن لك حرية دفع النفقات التي سأتكبدها في الوقت الذي يناسبك. والآن أرجو منك أن تقصّي علينا كل ما يمكن

ذلك الوقت تملك مبلغاً كبيراً من المال لا يقل دخله عن ألف جنيه في العام، وقد أوصت بهذا المبلغ كله للدكتور رويلوت ما دمنا نقيم معه، مع شرط بأن يتم تخصيص مبلغ سنوي محدد لنا عند زواجنا. ثم توفيت والدتنا بعد عودتنا إلى إنكلترا بوقت قصير، فقد ماتت في حادثة على السكة الحديدية قرب كرو منذ ثمانية أعوام، وعندها تخلى الدكتور رويلوت عن محاولاته لإثبات نفسه في عيادة بلندن وأخذنا لنعيش معه في منزل أجداده القديم في ستوك موران، حيث كان المال الذي تركته أمنا كافياً لسد كافة احتياجاتنا، وبدا أننا سنعيش في سعادة بلا أية عقبات.

ولكن تغيراً رهيباً طرأ على زوج والدتنا في تلك الفترة، فبدلاً من أن يعقد الصداقات مع الناس ويتبادل الزيارات مع الجيران (الذين سعدوا جداً في البداية لرؤية واحد من أفراد عائلة رويلوت وقد عاد إلى الإقامة في مقر العائلة القديم) قام بعزل نفسه في داخل المنزل وأصبح نادراً ما يخرج إلا للدخول في نزاعات شرسة مع أي شخص قد يقابله. إن الطبع العنيف الذي يكاد يصل إلى حد الهوس وراثي عند رجال العائلة، وقد ازداد الأمر حدة في حالة زوج أمي -في اعتقادي- بسبب إقامته الطويلة في المناطق المدارية في الهند. وبسبب طباعه الحادة دخل زوج أمي في سلسلة من المشاجرات المخزية انتهت اثنتان منها في محكمة

قالت: كانت هذه العائلة واحدة من أغنى العائلات في إنكلترا في وقت من الأوقات، وكانت ممتلكاتها تمتد إلى بيركشاير في الشمال وهامبشاير في الغرب. ثم تعاقب فيها في القرن الأخير أربعة من الورثة المبذرين والمقامرين، فانتهى أمر العائلة أخيراً ولم يبقَ لها إلا فدادين قليلة من الأرض ومنزل عمره مئتا عام يزرع تحت رهن ثقیل، وفيه قضى المالك الأخير أيامه في شقاء وهو يعيش حياة عصبية كئيب معدم. ولكن ابنه (أي زوج أمي) رأى أن عليه أن يهيئ لنفسه ظروفاً جديدة، فحصل على قرض من أحد الأقارب مكّنه من الحصول على شهادة جامعية في الطب، ثم ذهب إلى الهند حيث استطاع -بمهارته المهنية وقوة شخصيته- تأسيس عيادة واسعة، ولكنه ارتكب جريمة حين ضرب رئيس خدمه حتى الموت في نوبة غضب سببها بعض السرقات في المنزل، ثم أفلت من عقوبة الإعدام بأعجوبة رغم أنه قد عانى من فترة سجن طويلة، وعاد بعد ذلك إلى إنكلترا رجلاً يائساً حزيناً.

وحين كان الدكتور رويلوت في الهند تزوج أمي السيدة ستونر، وكانت أرملة اللواء ستونر الذي خدم في سلاح المدفعية في البنغال. وقد كنت أنا وأختي جوليا (ونحن توأمان) في السنة الثانية من عمرنا عندما تزوجت أمنا للمرة الثانية. وكانت أمنا في

أن دفعت كل المال الذي استطعت جمعه. إنه لا يملك
أي أصدقاء على الإطلاق ما عدا الغجر الرحالة،
فهو يسمح لهؤلاء المتشردين بإقامة معسكرهم على
الغدادين القليلة المكسوة بالشجر الشائك التي تمثل
ممتلكات العائلة، ويقبل في المقابل أن يستضيفوه في
بيوتهم، وقد يهيم معهم في بعض الأحيان لأسابيع
متصلة، كما أنه يهوى أيضاً الحيوانات الهندية التي
أرسلت إليه، وهو يمتلك الآن فهداً وقرداً يتجولان
بحرية على أراضيهِ ويخاف منهما القرويون بنفس
درجة خوفهم من سيدهما تقريباً.

يمكنك أن تتخيل -مما قلته- أنني وأختي
المسكينة جوليا لم نحظ بقدر وافر من السعادة في
حياتنا، فلم يستمر معنا أي من الخدم واضطررنا إلى
القيام بكل العمل المنزلي لوقت طويل. وبالرغم من
أن أختي لم تكن قد تجاوزت الثلاثين من عمرها عندما
ماتت إلا أن الشيب كان قد بدأ يدب في شعرها مثلما
حدث مع شعري.

سأل هولمز: لقد ماتت أختك إذن؟

- منذ عامين فقط، وهذا هو الموضوع الذي
أود أن أحدثك بخصوصه. يمكنك أن تتوقع أن فرصتنا
في مقابلة من هم في مثل سننا ومركزنا كانت ضئيلة
للاغاية بسبب نوعية حياتنا التي وصفناها لك. على أية

الجنح، حتى صار أخيراً رمزاً للربح في القرية وصار
الناس يهربون عند اقترابه، لأنه رجل ذو قوة كبيرة ولا
يكاد يستطيع التحكم في غضبه.

وقد وقعت أحداث المشكلات حين قام بالقاء
حداد القرية من فوق الجسر إلى النهر في الأسبوع
الماضي، ولم أتمكن من تفادي فضيحة جديدة إلا بعد



Sydney Paget 1892

رسم سدني باجيت ١٨٩٢

- تماماً.

- نوافذ الغرف الثلاث تطلّ كلها على المرح العشي. وفي الليلة المشؤومة ذهب الدكتور رويلوت إلى غرفته مبكراً، ومع ذلك فقد عرفنا أنه لم يَأْ إلى فراشه لأن أختي شعرت بانزعاج من رائحة التبغ الهندي الذي كان من عاداته تدخينه، ولذلك تركت غرفتها وجاءت إلى غرفتي فجلست معي لبعض الوقت وتحدثنا عن زفافها الذي اقترب موعده. وقد قامت في الساعة الحادية عشرة لتتركني، ولكنها توقفت عند الباب ونظرت إلى الخلف وقالت: أخبريني يا هيلين، هل سبق لك أن سمعت شخصاً يصفر في عمق الليل؟

فقلت: مطلقاً.

- هل يمكن أن تصفري أنت في أثناء نومك؟

- بالتأكيد لا. ولكن لماذا؟

- لأنني كنت أسمع صوت صفارة واضحاً ومنخفضاً في الساعة الثالثة صباحاً خلال الليالي القليلة الماضية جميعاً. إن نومي خفيف ولذلك فقد أيقظني الصوت مراراً، ولكنني لا أستطيع تحديد مصدره، فربما كان قادماً من الغرفة المجاورة وربما كان من ناحية المرح العشي، وهكذا فكرت في أن

حال كانت لدينا خالة، هي أخت أُمي التي لم تتزوج واسمها هونوريا وستفيل وتعيش بالقرب من هارو، وكان مسموحاً لنا أن نزور منزلها زيارات قصيرة من حين إلى آخر، وقد ذهبت جولياً إلى هناك في عيد الميلاد منذ عامين حيث قابلت راندأ في البحرية يعمل بنصف أجر وتَمَّت خطبتها له، وعلم زوج أُمي بالخطبة بعد عودة شقيقتي فلم يعترض على الزواج، ولكن حادثاً رهيباً وقع قبل أسبوعين من اليوم الذي تم تحديده للزفاف فحرمني من رفيقتي الوحيدة.

كان شيرلوك هولمز يميل إلى الخلف في كرسيه وهو مغلق عينيه ورأسه يغوص في وسادة، إلا أنه فتح جفنيه قليلاً في تلك اللحظة ونظر إلى زائرته قائلاً: أرجو أن تكوني دقيقة في سردك للتفاصيل.

- من السهل عليّ أن أكون كذلك؛ فكل ما حدث في تلك الفترة مطبوع في ذاكرتي. إن المنزل الريفى قديم جداً كما قلت لك، وفيه جناح واحد قابل للسكنى في الوقت الحالي، وغرف النوم في هذا الجناح تقع في الطابق الأرضي بينما تقع غرف الجلوس في وسط البناء. أول غرف النوم تلك هي غرفة الدكتور رويلوت، والثانية غرفة أختي، أما الثالثة فغرفتي، وليس بين الغرف أي اتصال ولكنها تفتح على الممر نفسه. هل ما قلته واضح؟

نوام كما قلت لك من قبل، وأنت تعرف كيف
لكون الصلة دقيقة بين شخصين مرتبطين بمثل هذه
الصلة الوثيقة. كانت ليلة موحشة، فقد راحت الرياح
لعوي في الخارج والمطر يضرب بقوة على النوافذ،
وفجأة انفجرت وسط ضجيج العاصفة صرخة هائجة
لامرأة مروعة، وأدركت أنه صوت أختي فقفزت
من سريري وتلفحت بشال ثم أسرع إلى الممر.
وعندما فتحت باب غرفتي بدا لي أنني سمعت صوت
صفارة منخفض كالذي وصفته أختي، ثم سمعت بعد
لحظات قليلة قرقعة كما لو كان صوت سقوط كتلة
من المعدن، وعندما أسرع عبر الممر وجدت أن



Sydney Paget 1892

رسم سديني باجيت ١٨٩٢

أسألك إن كنت قد سمعته.

- لا، لم أسمع. لا بد أنهم هؤلاء الغجر
الأشقياء في المزرعة.

- هذا محتمل، ولكنني أتساءل لماذا لا تسمعيه
أنت أيضاً إن كان يأتي من ناحية المرح العشبي!

- ربما لأن نمومي أثقل من نومك.

- حسناً، ليس للأمر أهمية كبيرة.

ثم ابتسمت لي وأغلقت بابي، وبعد لحظات
قليلة سمعتها تدير المفتاح في قفل غرفتها.

قال هولمز: حقاً؟ هل كان من عادتكما دائماً أن
تغلقا على نفسيكما بالمفتاح؟

- دائماً.

- ولماذا؟

- ذكرت لك أن زوج أمي يحتفظ بفهد وقرد،
ولذلك كنا لا نشعر بالأمان ما لم نغلق الأبواب.

- حسناً، أرجو أن تكلمي روابتك.

قالت: لم أستطع النوم تلك الليلة؛ فقد داهمني
شعور غامض بقرب حدوث بلية، فأنا وشقيقتي

أخذناها فسقطت على الأرض، وأخذت تتلوى كمن
يعاني المأ شديداً وأطرافها تهتز بشدة. وقد فكرت في
الهداية أنها لم تعرفني، ولكن بينما كنت أنحني عليها
صرخت فجأة بصوت لن أنساه أبداً وقالت: آه، يا
إلهي! هيلينا، إنها العصابة... العصابة الرقطاء!

أرادت قول شيء آخر وأشارت بإصبعها في
الهواء باتجاه غرفة زوج أمي، ولكن موجة جديدة من
الشجنات انتابتها فاخترقت كلماتها. عندئذ أسرعت
بمخارجة من الغرفة وأخذت أنادي زوج أمي بصوت
عالي، فخرج مسرعاً من غرفته مرتدياً رداء النوم.
وكانت أختي فاقدة الوعي حين وصل إليها، وبالرغم
من كل محاولاته ورغم أنه أرسل في طلب المساعدة
الطبية من القرية إلا أن كل تلك الجهود ذهبت هباءً،
لقد انهارت أختي ببطء وماتت دون أن تستعيد وعيها،
وكانت تلك هي النهاية المريعة لأختي الحبيبة.

قال هولمز: لحظة واحدة، هل أنت متأكدة
من أنك سمعت الصفارة والصوت الذي يشبه صوت
سقوط كتلة من المعدن؟ أتقسمين على ذلك؟

- هذا هو ما سألني عنه الطبيب الشرعي في أثناء
التحقيق. لقد غلب عليّ انطباع بأنني سمعت هذه
الاصوات، ولكن يمكن طبعاً أن أكون قد توهمت
سماعها بسبب صخب العاصفة وصرير البيت القديم.

باب غرفة أختي مفتوح ويدور حول مفصلاته ببطء،
فحدقت إليه برعب لأنني لم أعرف ما الذي سيخرج
منه، ولكنني رأيت أختي تظهر على عتبة الباب
في ضوء مصباح الممر ووجهها ممتقع من الرعب
ويدها تتلمسان المساعدة وجسدها يتمايل إلى الأمام
والخلف كشخص ثمل، فأسرعت إليها وأحطتها
بذراعي، ولكن في تلك اللحظة بدا وكأن ركبتيها قد



Josef Friedrich 1906

رسم جوزف فريدريش ١٩٠٦

- هل كانت أختك مرتدية ملابس الخروج؟

لا نتيجة.

- لا، بل كانت في ملابس النوم، وقد وجدنا في يدها اليمنى بقايا عود متفحم من الكبريت وفي يدها اليسرى علبه الكبريت.

- مما يُظهر أنها أشعلت النور ونظرت حولها عندما وقع الهجوم المفاجئ. هذا مهم. وما هي النتيجة التي توصل إليها الطبيب الشرعي؟

- لقد درس القضية باهتمام كبير لأن الدكتور رويلوت كان مشهوراً بسوء تصرفاته منذ زمن طويل، ولكنه لم يتمكن من التوصل إلى سبب مقنع للوفاة. وقد أظهرت شهادتي أن الباب كان مُقفلاً من الجهة الداخلية وأن النوافذ كانت مزودة بمصاريح قديمة الطراز ذات قضبان حديدية عريضة يتم إغلاقها بإحكام كل ليلة، وفُحصت الجدران بدقة فتيين أنها مصمتة تماماً، كما عاينوا الأرضيات بشكل كامل وصولاً إلى النتيجة نفسها. ورغم أن المدخنة واسعة إلا أنها مغطاة بشبك عريض، ولذلك فمن المؤكد أن أختي كانت وحيدة تماماً عندما واجهت مصيرها، بالإضافة إلى عدم وجود آثار عنف على جسمها.

- وماذا عن السم؟

- لقد فحصها الطبيب بحثاً عن أثر للسم ولكن

- وما الذي تسبب في وفاة أختك باعتقادك؟

- أعتقد أنها ماتت من شدة الرعب وبسبب الصدمة العصبية، بالرغم من أنني لا أستطيع تصور الشيء الذي أخافها.

- هل كان في المزرعة عجر في ذلك الوقت؟

- نعم، ففيها بعض منهم بشكل دائم تقريباً.

- وماذا فهمت من هذا التلميح عن العصابة الزلغلاء؟

- أفكر في بعض الأحيان أنه كان مجرد كلام نتج عن الهذيان، وفي أحيان أخرى أظن أنها ربما كانت تشير إلى عصابة من الناس، وربما إلى هؤلاء العجر في المزرعة. لعل المناديل المرقطة التي يضعها كثير منهم قد أوحى إليها بتلك الصفة الغريبة التي استخدمتها.

هرّ هولمز رأسه كشخص أبعد ما يكون عن الافتناع، ثم قال: إنه أمر غامض، أرجو أن تكملني قصتك.

- لقد مرّ عامان على تلك الحادثة وسادت

الوحشة حياتي أكثر من أي فترة مضت، وبقيت

- نعم، بكل شيء.

- بل لم تفعلي يا آنسة رويلوت؛ إنك تسترين على زوج أمك.

- ماذا تقصد؟

جواباً على سؤالها دفع هولمز حافة القماش الأسود المُرَكش الذي يغطي اليد التي تضعها زائرتنا على ركبتيها، فرائناً خمس بقع زرقاء، علامات أربع أصابع وإبهام، مطبوعة على معصمها الأبيض. قال هولمز: لقد تمت الإساءة إليك بقسوة.

فاحمّر وجه الفتاة بشدة وغطّت معصمها المصاب وقالت: إنه رجل قاس، وقد لا يعرف مقدار قوّته.

ساد الصمت لوقت طويل أسند خلاله هولمز ذقنه على يديه وأخذ يحرق إلى النار المستعرة، ثم قال أخيراً: إنها قضية معقدة جداً، وثمة تفصيلات كثيرة أرغب في معرفتها قبل أن أقرر الاتجاه الذي ستتحرك على أساسه، إلا أننا لا نملك دقيقة لنضعها، فهل يمكننا أن نرى هذه الغرف دون علم زوج أمك لو ذهبنا إلى ستوك موران هذا اليوم؟

- من محاسن المصادفات أنه تحدّث عن مجيئه

كذلك حتى وقت قريب، فمئذ شهر شرفني صديق عزيز كنت أعرفه منذ سنوات بطلب يدي للزواج إن اسمه أرميتاج، بيرسي أرميتاج، وهو الابن الثاني للسيد أرميتاج من كرين ووتر بالقرب من ريدينغ ولم يعترض زوج أُمّي على الزواج الذي سوف يتم في بداية الربيع، وقد بدأت منذ يومين بإجراء بعض الإصلاحات في الجناح الغربي من المبنى، وثُقب جدار غرفتي فاضطرت إلى الانتقال إلى الغرفة التي ماتت فيها أختي لأنام على السرير الذي كانت تنام عليه. ولك أن تتصور مدى الرعب الذي انتابني عندما استلقيت وأنا مستيقظة أفكر في نهايتها الفظيعة فسمعت فجأة - في سكون الليل - نفس الصفارة المنخفضة التي كانت نذيراً لموتها، فقفزت واقفة وأشعلت المصباح، ولكنني لم أر في الغرفة شيئاً. لقد هزّني ما حدث حتى إنني لم أستطع أن أدخل إلى النوم مرة أخرى، فارتديت ملابسني وتسَلّلت حالماً طلع النهار فاستأجرت عربة صغيرة من مقهى كراون الواقع في الجهة المقابلة، واتجهت إلى ليدزهييد ومنها أتيت إلى هنا هذا الصباح ولي هدف واحد، هو رؤيتك وطلب نصيحتك.

قال صديقي هولمز: لقد تصرفيت بحكمة، ولكن هل أخبرتني بكل شيء؟

قال هولمز وهو يميل في كرسيه إلى الخلف: ما رأيك في الأمر كله يا واطسون؟

- يبدو لي أنها قضية غامضة وتندر بالشر.

- نعم، إنها غامضة وتوحي بكثير من الشر.

- ولكن إذا صح ما تقوله السيدة بشأن الجدران والأرضيات والباب والنافذة والمدخنة فلا بد إذن أن أختها كانت وحيدة تماماً عندما لقيت نهايتها الغامضة.

- وماذا عن الصغير الليلي والكلمات الغريبة التي تلفظت بها الأخت وهي في النزاع الأخير؟

- لا أعلم.

- إذا فكرنا بالصغير الليلي مع وجود عصابة من العجر ترتبط بعلاقة قوية مع هذا الطبيب، بالإضافة إلى أننا نملك من الأسباب ما يجعلنا نصدق أن للطبيب مصلحة في منع زواج ابنتي زوجته، وإلى الإشارة التي أشارتها الفتاة الميتة إلى العصابة، وأخيراً إلى حقيقة أن الأنسة هيلينا ستونر قد سمعت صوت رنين معدني ربما كان مصدره أحد تلك الحواجز المعدنية التي تُغلق المصاريح وهو يعود إلى مكانه... إذا فكرنا بذلك كله فاعتقد أن لدينا سبباً جيداً للاعتقاد بأن حل اللغز

إلى المدينة اليوم في عمل مهم، ومن المحتمل أن يظل بعيداً طوال اليوم، وهكذا لن يزعجك شيء. إن لدينا الآن مذبذبة للمنزل، ولكنها عجوز حمقاء ويمكنني إبعادها عن طريقكما بسهولة.

- ممتاز. أ لديك اعتراض على هذه الرحلة يا واطسون؟

- على الإطلاق.

- سندهب معاً إذن، وماذا ستفعلين أنت؟

- أتمنى الآن القيام بأمر أو اثنين ما دمت هنا في المدينة، ولكنني سأعود في قطار الساعة الثانية عشرة لأكون هناك عند وصولكما.

- يمكنك أن تتوقعي حضورنا في وقت مبكر من بعد الظهر، فلدي أنا أيضاً بعض الأمور البسيطة التي يجب أن أهتم بها. ألا تتظرين لتناول الإفطار؟

- يجب أن أذهب. لقد خفت الحمل عن قلبي بالفعل منذ أن بُحت لكما بمشكلاتي، وأنا أتطلع إلى رؤيتكما ثانية بعد ظهر هذا اليوم.

ثم أنزلت على وجهها الغطاء الأسود الثقيل وخرجت من الغرفة بخفة.

* * *

فقال رفيقي بهدوء: إنه اسمي يا سيدي، ولكنني
لم أشرف بمعرفتك.

- أنا الدكتور غريمسباي رويلوت.

فقال هولمز باسترخاء: حقاً؟ طيب؟ أرجو أن
أجلس.



Sydney Paget 1892

رسم سدني باجيت ١٨٩٢

يكمن في هذه السلسلة المُرّية من الأحداث.

- ولكن ما الذي فعله الغجر؟

- لا يمكنني الجزم بذلك الآن.

- أرى الكثير من الاعتراضات على مثل هذه
النظرية.

- وأنا كذلك، ولهذا السبب بالتحديد سنذهب
إلى ستوك موران اليوم، فأنا أريد أن... ما هذا؟!

صدر هذا الهاتف عن صديقي حين فُتح بابنا
فجأة بعنف ووقف أمامنا رجلٌ ضخم. كانت ملابسه
مزيجاً غريباً من ملابس المزارعين وأصحاب المهن،
فقد ارتدى قبعة رسمية سوداء وسترة رسمية طويلة
وحذاء طويل الساق، وكان يؤرجح في يده سوطاً
قصيراً، وقد كان طويلاً جداً لدرجة أن قبعته لامست
أعلى مدخل الباب وعريضاً لدرجة أنه أغلق الباب
بجسمه تماماً. وقف وأخذ يدير وجهه العريض
المتلئ بالتجاعيد والمصفر من لفح الشمس من
أحدنا إلى الآخر وقد كسسته ملامح الشرّ، أما عيناه
العميقتان فراحتا تقذفاننا بالنظرات الغاضبة، وأعطاه
أنفه النحيل الشامخ مظهر طائر جارح عجوز!

قال: أيكما يُدعى هولمز؟

- سأذهب عندما أقول ما أريد. إياك والتدخل في شؤوني، فأنا أعرف أن الأنسة ستونر كانت هنا. لقد كتبتها. إن من الخطر معاداتي... انظر.

ثم خطا إلى الأمام بسرعة وأخذ عصا المدفأة فثابها بيديه الكبيرتين حتى تقوست، ثم زمجر قائلاً: حاذر أن تقع في قبضتي.

ثم رمى العصا الملتوية في المدفأة وغادر الغرفة، فقال هولمز ضاحكاً: يبدو أنه رجل لطيف! وبالرغم من أنني لست بمثل هذه الضخامة إلا أنني كان يمكن أن أظهر له -لو بقي معنا قليلاً- أن قبضتي ليست أضعف من قبضته بكثير.

وفيما هو يتحدث قام بالتقاط العصا الفولاذية فأعاد إليها شكلها ثانية، ثم قال: تصور كيف امتلك الوقاحة ليخلط بيني وبين رجال الشرطة الرسميين! لقد زادت هذه الحادثة من متعة تحقيقنا، وعلى أية حال فأنا واثق أن صديقتنا الصغيرة لن تعاني من حماقتها حين سمحت لهذا الوحش بتتبعها. والآن يا واطسون، سنطلب الإفطار ثم سأذهب للحصول على بعض المعلومات التي قد تساعدنا في هذه القضية.

كانت الساعة قد قاربت الواحدة حين عاد

- لن أجلس بالطبع. لقد كانت ابنة زوجتي هنا، فقد تتبعتها. ماذا قالت لك؟

قال هولمز: إن الجو بارد بالنسبة لهذا الوقت من السنة.

فصاح العجوز بشراسة: ما الذي قالته لك؟

فتابع رفيقي برباطة جأش قائلاً: ولكنني سمعت أن الزعفران مزدهر.

قال زائرنا الجديد وهو يتقدم خطوة إلى الأمام ويهز سوطه القصير: ها، إنك تحاول تضليلي، أليس كذلك؟ أنا أعرفك أيها الوغد فقد سمعت عنك من قبل. أنت هولمز الذي يتدخل فيما لا يعنيه.

فابتسم صديقي.

- هولمز الفضولي!

اتسعت ابتسامة هولمز.

- هولمز المخبر الذي يعمل مع الشرطة البريطانية.

قهقه هولمز بحرارة وقال: محادثتك ممتعة جداً. أرجو أن تغلق الباب عندما تغادر فهناك تيار هوائي واضح.

ما نحتاجه على ما أظن.

* * *

حالفنا الحظ في محطة وائرلو فاستطعنا اللحاق
بقطار متجه إلى ليدز هيد، وهناك استأجرنا عربة خفيفة
من المحطة فركبناها لمسافة أربعة أميال على طول
طريق صرّي اللطيف. كان يوماً مثالياً أشرقت شمس
والتشرت في سمانه بعض السحب الرقيقة، كما بزغت
البراعم الخضراء على الأشجار والشجيرات الموجودة
على جانب الطريق وعبق الجو برائحة لطيفة للأرض
الرطبة، وبدأ لي مدى التناقض الغريب بين بشائر
الربيع اللطيفة وبين هذا التحقيق المشؤوم الذي نعمل
فيه.

جلس رفيقي في مقدمة العربة وقد عقد ذراعيه
على صدره وسحب قبعته على عينيه وأرخى ذقنه على
صدره وغرق في تفكير عميق، ثم تحرك فجأة فربّت
على كتفي وأشار إلى المراعي قائلاً: انظر هناك.

كانت الأرض هناك مغطاة بالأشجار وتمتد إلى
الأعلى في انحدار بسيط يزداد كثافة عند أعلى نقطة
حيث تتكاثف الأشجار، ومن وراء الفروع برز سقف
عالم لقصر عتيق جداً.

قال هولمز: ستوك موران؟

شيرلوك هولمز من رحلته القصيرة، وكان يحمل
في يده ورقة زرقاء ممثلة بالملاحظات والأرقام
المكتوبة بخط مستعجل. قال: لقد رأيت وصية الزوجة
المتوفاة، وقد اضطرت إلى تقدير الأسعار الحالية
للاستثمارات المعنية حتى أحدد المدلول الدقيق
للوصية، فالدخل الكلي الذي كان يقارب ألفاً ومئة
جنيه وقت وفاة الزوجة أصبح الآن لا يتجاوز سبعة
وخمسين جنيهاً بسبب تدهور الأسعار الزراعية. وبما
أن لكل ابنة الحق في المطالبة بمئتين وخمسين جنيهاً
في حالة الزواج فمن الواضح أن زواجهما معاً سيحرمه
من حصة كبيرة من دخله ويبقيه مفلساً تقريباً، وحتى
لو تزوجت واحدة منهما فقط فسوف ينقص دخله
بدرجة كبيرة.

سكت برهة ثم أكمل قائلاً: إن عملي الصباحي
لم يذهب هباء، فقد أثبت أن هذا الطبيب الشرس
يملك أقوى الدوافع للوقوف في طريق أي زواج
للفتاتين. حسناً يا واطسون، إن هذا الأمر خطير جداً
ولا يحتمل التأخير، لا سيما وأن الرجل بات مدركاً
أننا مهتمون بشؤونه، ولهذا فإن كنت جاهزاً فسنطلب
عربة لتقلنا إلى محطة وائرلو في الحال، وسأكون ممتناً
لو أحضرت مسدسك في جيبي لأنه سيكون مساعداً
ممتازاً في النقاش مع سيد يستطيع أن يلوي عصا مدفاة
فولاذية، وسيكون المسدس وفرشة الأسنان هما كل

وهذه السيدة هي الأنسة ستونر كما أتخيل. نعم، من الأفضل أن ننفذ اقتراحك.

نزلنا وودعنا الأجرة ففرقت العربة عائدة إلى ليذرهيد، وقال هولمز ونحن ننتقل السياج: لقد فضلت أن يظن الرجل أننا جئنا إلى هذا البيت للمشاركة في أعمال البناء، وهذا يمكن أن يمنعه من الشرقة.

ثم قال يخاطب الأنسة ستونر: مساء الخير يا أنسة ستونر. أرايت كيف حافظنا على كلمتنا؟

فأسرعت عميلة الصباح نحونا لتقابلنا ووجهها يلمع عن الفرح، وصاحت بحرارة: كنت أنتظركما بالهفة. لقد سارت الأمور على نحو رائع، فقد ذهب الدكتور رويلوت إلى المدينة ومن غير المحتمل أن يعود قبل المساء.

فقال هولمز: لقد أسعدنا الحظ وتعرفنا على الدكتور.

ثم شرح لها ما حدث في كلمات قليلة، فشحب وجه الأنسة ستونر وهي تنصت ثم صاحت قائلة: يا الهي! لقد تبعني إذن؟

- هذا ما يبدو.

فأجاب السائق: نعم يا سيدي، وهذا المنزل للدكتور غريمسباي رويلوت.

قال هولمز: إن بعض أعمال البناء تجري في هذا البيت، وإليه نحن ذاهبان.

فقال السائق وهو يشير إلى مجموعة من الأسقف الظاهرة من بعيد على اليسار: هناك تقع القرية، ولكن إذا أردت أن تصل إلى المنزل فسوف تختصر الطريق إذا قفزت فوق هذا السياج ثم سرت في ممر المشاة عبر الحقول. ها هو الممر هناك، حيث تمشي السيدة.

فقال هولمز وهو يحجب الشمس عن عينيه:



Sydney Paget 1892

رسم سديني باجيت ١٨٩٢

قال: أظن أن هذه هي نافذة الغرفة التي اعتدت النوم فيها، والوسطى هي غرفة أختك، والمجاورة للمبنى الرئيسي هي غرفة الدكتور رويلوت.

- تماماً، ولكنني أنام الآن في الغرفة الوسطى.



Josef Friedrich 1906

رسم جوزف فريدرتش ١٩٠٦

- إنه ماكر جداً لدرجة أنني لا أعرف متى أكون بأمان معه. ماذا سيقول عند عودته؟

- يجب أن يتتبع نفسه، فقد يجد في أثره من هو أمكر منه. يجب أن تغلقي على نفسك الباب الليلة لتبتعدي عنه، أما إذا تصرف بعنف فسناخذك إلى خالتك في هارو. والآن يجب أن نحسن استغلال الوقت، ولذلك أرجو أن ترشدنا إلى الغرف التي يجب علينا فحصها.

كان المبنى من الحجارة الرمادية المكسوة بالنبات الأخضر، وقد تكون من جزء مركزي مرتفع وجناحين مقوسين مثل مخالب السرطان البحري على كل جانب. وقد كان سطح أحد هذين الجناحين منهاراً بشكل جزئي وزجاج النوافذ مكسوراً وقد سُدتْ النوافذ نفسها بالألواح الخشبية، وكان الجزء الأوسط في حالة أفضل قليلاً، أما المبنى الواقع على الجانب الأيمن فكان حديثاً نسبياً وتدل الستائر الموجودة على نوافذه والدخان الأزرق المتصاعد من مداخنة على أنه مكان إقامة الأسرة.

رأينا بعض السقالات المنصوبة بجانب الجدار ولكن لم أشاهد أي دليل على وجود عمال في وقت زيارتنا. مشى هولمز ببطء ذهاباً وإياباً على طول المرح وفحص النوافذ من الخارج بعناية شديدة، ثم

قال هولمز وهو يحك ذقنه ببعض الحيرة:
حسناً، إن نظريتي تواجه بعض الصعوبات بالتأكيد،
فلا يمكن لأي شخص أن يفتح هذه المصاريح إذا
كانت مغلقة بالمزلاج. لنر ما إذا كنا سنجد ما يوضح
الأمر في الداخل.

قاد بابٌ جانبي صغير إلى الممر المطلي باللون
الأبيض والذي تفتح عليه أبواب الغرف، ورفض
هولمز أن يفحص الغرفة الثالثة، وهكذا اتجهنا مباشرة
إلى الغرفة الثانية، تلك التي تقيم فيها الأنسة ستونر
موقتاً والتي لقيت فيها أختها مصيرها. كانت غرفة
صغيرة بسيطة ذات سقف منخفض ومدفأة واسعة
وفقاً لطراز المنازل الريفية القديمة، وفي أحد الزوايا
صندوق بتي كبير فيه أدراج لوضع الملابس وسرير
على الجانب الأيسر للنافذة. كان هذا هو كل الأثاث
الموجود في الغرفة مع كرسيين صغيرين من الخيزران
وسجادة مربعة في وسط الغرفة، وكانت الأرضيات
والألواح التي تزيّن الجدران من خشب البلوط البني
المتآكل التي كانت شديدة القدم ولونها متغير لدرجة
أنها قد تكون من عمر المبنى الأصلي.

سحب هولمز أحد الكراسي إلى ركن الغرفة
وجلس صامتاً وهو يدور بعينه في الغرفة كلها ليدرس
كل تفصيلاتها، وأخيراً سأل وهو يشير إلى حبل يتدلى

- في انتظار انتهاء الإصلاحات كما فهمت.
بالمناسبة، لا أرى حاجة ملحة لإجراء التصليحات في
ذلك الجدار الأخير.

- لم تكن هناك حاجة لذلك، ولعله كان عذراً
لإخراجي من غرفتي.

- آه! إن لهذا الأمر دلالات. والآن على الجانب
الآخر من هذا الجناح الضيق يمتد الممر الذي تفتح
عليه هذه الغرف، وتوجد نوافذ فيه بالطبع.

- نعم، ولكنها صغيرة جداً ولا تتسع لمرور أي
شخص.

- وبما أنكما أغلقتما بابيكما في أثناء الليل فقد
كان من المستحيل الوصول إلى الغرفتين من ذلك
الجانب. والآن هل تتكرومين بالذهاب إلى غرفتك
وإحكام إغلاق مصراع النافذة بالمزلاج؟

فعلت الأنسة ستونر ما طلبه، وبعد أن قام هولمز
بفحص دقيق للنافذة المفتوحة حاول بكل طريقة فتح
المصراع عنوة ولكن بلا نجاح، فلم يكن هناك شق
يسكن من خلاله إدخال سكين لرفع المزلاج. وبعد
ذلك فحص هولمز المفصلتين بعدسته المكبرة،
ولكنهما كانتا من الحديد الصلب ومثبتتين بقوة في
المبنى الضخم.

ثم أطلق صيحة تعجب وقال: إنه مزيف!

- ألن يرنّ؟

- لن يرنّ؛ فهو غير موصول بأي سلك! إن هذا الأمر مثير للاهتمام بشكل كبير، ويمكنك أن تشاهدي أنه مربوط بخطاف فوق فتحة التهوية الصغيرة مباشرة.
- يا له من أمر غريب! لم ألحظ ذلك من قبل مطلقاً.

غمغم هولمز وهو يشد الحبل قائلاً: غريب جداً! إن في هذه الغرفة بعض الحقائق الغريبة؛ فعلى سبيل المثال لا بدّ أن يكون البناء أحمق حتى يصل فتحة التهوية بغرفة أخرى في حين أنه كان يستطيع بلوغ الهواء الخارجي بنفس المجهود.

قالت السيدة: هذا أيضاً عمل حديث تماماً.

فعلّق هولمز قائلاً: وهل تم إنجازه في نفس الوقت مع حبل الجرس؟

- نعم، لقد نُفذت عدة تغييرات صغيرة في ذلك الوقت.

- ويبدو أن هذه التغييرات كانت ذات خصائص مشيرة للاهتمام؛ حبل جرس مزيف، وفتحات تهوية لا

بجانب السرير وطرفه على الوسادة: أين يدق هذا الجرس؟

- يدق في غرفة مديرة المنزل.

- يبدو أنه أحدث من الأشياء الأخرى.

- نعم، لقد وُضع هنا منذ عامين فقط.

- هل كانت أختك هي التي طلبته؟

- لا، لم أسمع أنها استخدمته قط، فقد اعتدنا على إحضار ما نريده بأنفسنا.

- حقاً، يبدو أنه من غير الضروري أن يوضع مثل هذا الحبل اللطيف للجرس هنا. أرجو أن تعذروني لدقائق قليلة حتى أتأكد من هذه الأرضية.

ثم استلقى على الأرض ووجهه إلى الأسفل وعدسته المكبرة في يده، وأخذ يزحف بسرعة إلى الأمام وإلى الخلف وهو يفحص الشقوق الموجودة بين الألواح بدقة، ثم قام بنفس الأمر مع الألواح الخشبية التي كانت تغطي جدران الغرفة، وأخيراً سار إلى السرير وأمضى بعض الوقت وهو يحرق إلى حبل الجرس ويدرس الجدار بعينه من أعلى ومن أسفل، وبعد ذلك أخذ حبل الجرس في يده وشده بسرعة.

- أوراق عمل زوج أمي.

- أرايت ما بداخلها إذن؟

- مرة واحدة فقط، منذ عدة سنوات، وأذكر أنها كانت ممتلئة بالأوراق.

- ألا توجد فيها قطعة على سبيل المثال؟

- قطعة؟! يا لها من فكرة غريبة!

أشار هولمز إلى صحن صغير كان موضوعاً فوق الخزانة وفيه قليل من الحليب وقال: حسناً، انظري إلى هذا.

- لا، نحن لا نربي قططاً، ولكن يوجد فهذه وقردة.

- آه، نعم، بالطبع. حسناً، إن الفهد قطعة كبيرة، ولو أنني أعتقد أن صحن اللبن صغير جداً ولن يلبي حاجته. بقيت نقطة واحدة أرغب في فحصها.

جلس هولمز القرفصاء أمام الكرسي الخشبي وفحصه بعناية شديدة، ثم قال وهو يقف ويضع عدسته في جيبه: شكراً، لقد انتهيت من هذا الأمر... يا للعجب، ها هو شيء مثير للاهتمام!

كان الشيء الذي جذب انتباهه سوطاً صغيراً

تهوي! بعد إذنك، سنكمل بحثنا في الغرفة الداخلية.

كانت غرفة الدكتور رويلوت أوسع من غرفة ابنة زوجته ولكنها مفروشة بالبساطة نفسها؛ سرير ضيق، ورف خشبي صغير مليء بالكتب التي يغلب على معظمها الطابع العلمي، وكرسي بذراعين، وخزانة بجانب السرير، وكرسي خشبي بسيط بجوار الجدار، بالإضافة إلى طاولة دائرية وخزانة حديدية كبيرة.

مشى هولمز ببطء وتفحص كل هذه الأشياء باهتمام شديد، ثم سأل وهو يديق على الخزانة قائلاً: ماذا يوجد هنا؟



Sydney Paget 1892

رسم سدني باجيت ١٨٩٢

- أولاً سيتوجب عليّ أنا وصديقي قضاء الليل في غرفتك.

حدثتُ أنا والآنسة ستونر إليه بذهول.

- نعم، هكذا يجب أن يكون الأمر. سأوضح لكما كل شيء، أظن هذا هو فندق القرية هناك، أليس كذلك؟

- بلى، هذا هو مقهى وفندق كراون.

- جيد جداً، أيمكن رؤية نافذتك من هناك؟

- بالتأكيد.

- يجب أن تلزمي غرفتك وتدّعي إصابتك بالصداع عندما يعود زوج أمك، وبعد ذلك حين تسمعينه يأوي إلى فراشه يجب أن تفتحي مصراعاً نافذتك، ثم ضعي مصباحك هناك إشارة لنا وانسحبي بهدوء ومعك كل ما يمكن أن تحتاجيه إلى الغرفة التي اعتدت الإقامة فيها. لا شك في أنك لن تعجزين عن قضاء ليلة واحدة فيها رغم الإصلاحات.

- آه، نعم، بسهولة.

- واتركي الباقي علينا.

- ولكن ماذا ستفعلان؟

للكلاب معلقاً في إحدى زوايا السرير، وكان السوط ملفوفاً حول نفسه ومربوطاً بحيث أصبح مثل أنشودة من الجبل المجدول.

- ما الذي تستنتجه من هذا يا واطسون؟

- إنه سوط عادي، ولكنني لا أعرف لماذا هو مربوط هكذا.

- هذا ليس بالأمر العادي، أليس كذلك؟ آه، إنه عالم شرّير، فعندما يوجه رجل ماهر ذكاءه إلى الجريمة فهذا من أسوء الأمور. أظن أنني رأيت ما يكفي الآن يا آنسة ستونر، وسنخرج لنمشي على المرح العشبي.

لم يسبق أن رأيت وجه صديقي بمثل هذا التجهم والعبوس كما رأيته ونحن نغادر مسرح هذا التحقيق. مشينا ذهاباً وإياباً عدة مرات على المرح العشبي، ولم أرغب أنا والآنسة ستونر في قطع حبل تفكيره قبل أن يفيق من أحلام اليقظة، وأخيراً قال: من الضروري جداً يا آنسة ستونر أن تبقي نصيحتي بحذافيرها.

- سأفعل ذلك بكل تأكيد.

- إن الأمر خطير جداً ولا يحتمل أي تردد، فقد تعتمد حياتك على مدى طاعتك.

- أوكد لك أنني تحت أمرك.

- ربما.

- أرجو أن تخبرني بسبب وفاة شقيقتي إذن.

- أفضل أن تكون معي أدلة أوضح قبل أن أتكلم.

- يمكنك على الأقل أن تخبرني إذا كان ما أظنه صحيحاً، فهل ماتت من الخوف المفاجئ؟

- لا، لا أعتقد ذلك؛ بل أظن أن السبب أكثر واقعية. والآن يا آنسة ستونر يجب أن نغادر؛ فلو عاد الدكتور رويلوت ورائنا ستذهب رحلتنا هباء. إلى اللقاء، تشجعي وتأكدي من أنك لو نفذت ما قلته لك فسوف نخلصك قريباً من الأخطار التي تتهددك.

* * *

لم أجد أنا وهولمز أية صعوبة في استئجار غرفة نوم وغرفة جلوس في فندق كراون، وكانت الغرفتان في الدور العلوي، واستطعنا من خلال النافذة أن نرى بوابة الشارع والجناح المأهول من قصر ستوك موران، ورائنا الدكتور رويلوت وهو يصل في أول الليل وبنيته الضخمة تلوح عن بعد بجانب الجسم الفضيل للصببي الذي كان يقود العربة، وقد واجه الصبي بعض الصعوبة في فتح البوابة الحديدية الثقيلة، فسمعا

- سنقضي الليلة في غرفتك لتتحقق من هذه الضوضاء التي تزعجك.

قالت الأنسة ستونر وهي تنظر إلى رفيقي بأمل: أظن أنك توصلت إلى شيء بالفعل يا سيد هولمز؟



Sydney Paget 1892

رسم سدني باجيت ١٨٩٢

- نعم، ولكن ليس من غير المعتاد أن تكون هناك فتحة صغيرة بين غرفتين، كما أنها صغيرة جداً لدرجة أنها بالكاد تتسع لفأر.

- كنت أعرف أننا سنجد فتحة التهوية قبل أن نأتي إلى ستوك موران.

- ماذا؟!

- نعم، لقد عرفت ذلك. أتذكر أنها قالت في إفادتها إن أختها استطاعت أن تشم رائحة تبغ الدكتور روبلوت؟ بالطبع هذا يوحي بضرورة وجود اتصال بين الغرفتين، ولا بد أن يكون اتصالاً صغيراً وإلا لورد في تحقيق قاضي الوفيات، ومن هنا استنتجت أنها فتحة للتهوية.

- ولكن ما الضرر الممكن في ذلك؟

- حسناً، لدينا على الأقل مصادفة مشيرة للفضول بالنسبة للتواريخ، فهناك تزامن بين فتحة التهوية التي وُضعت والحبل الممزق الذي تم تعليقه وبين موت السيدة التي تنام في نفس السرير. ألا يلفت هذا نظرك؟

- لا أستطيع رؤية الصلة حتى الآن؟

- ألاحظت شيئاً غريباً بخصوص السرير؟

صوت الدكتور الهادر الأجش ورأينا غضبه الشديد وهو يهز قبضته في وجهه. ثم تقدمت العربية، وبعد دقائق قليلة ظهر ضوء من بين الأشجار عندما أشعل مصباح في إحدى غرف الجلوس.

قال هولمز ونحن جالسان في الظلام المتزايد: أعرف يا واطسون؟ إنني متردد بعض الشيء في أخذك معي الليلة؛ ففي هذه القضية قدر كبير من الخطر.

- هل سأتمكن من مساعدتك؟

- إن وجودك قد لا يقدّر بضمن.

- إذن سأتي بالتأكيد.

- هذا لطف شديد منك.

- أتحدث عن الخطر؟ من الواضح أنك رأيت في تلك الغرفة أكثر مما رأيت أنا.

- لا، ولكن أعتقد أنني استنتجت أكثر قليلاً، وأتصور أنك رأيت كل ما رأيته.

- لم أر شيئاً يستحق الذكر سوى حبل الجرس، وأعترف بأنني لم أستطع استنتاج الغرض الذي يؤديه.

- أرايت فتحة التهوية؟

- لا .

- لقد كان مثبتاً إلى الأرض. هل سبق لك أن رأيت سريراً مثبتاً بهذا الشكل من قبل؟

- لا أستطيع القول بأنني رأيت مثل ذلك.

- إن السيدة لا تستطيع تحريك سريرها، فيجب أن يبقى دائماً في نفس الموقع بالنسبة لفتحة التهوية وللحبل (كما يمكننا أن ندعوه، بما أنه لم يكن حبل جرس قط).

صِحت قائلاً: هولمز، أظن أنني بدأت أفهم ما ترمي إليه؛ فنحن في الوقت المناسب تماماً لنمنع جريمة مأكرة مروّعة!

- إنها جريمة مأكرة ومروّعة جداً، فعندما يتجه طبيب إلى طريق الشر يكون من أفضل المجرمين؛ فهو يمتلك المعرفة وقوة الأعصاب. ورغم ذلك أعتقد أننا سنهزمه، ولكننا سنواجه ما يكفي من الأهوال قبل أن تنتهي الليلة. دعنا ندخن الغليون بهدوء ونفكر في شيء أكثر بهجة لساعات قليلة.

* * *

أطفئُ النور الظاهر من بين الأشجار في نحو الساعة التاسعة، ومرت ساعتان ببطء، ثم فجأة وفي

تمام الحادية عشرة لمع ضوء وحيد ساطع أمامنا مباشرة، فهت هولمز على قدميه وقال: هذه إشارتنا، إنها صادرة عن النافذة الوسطى.

تبادل هولمز ونحن في طريق الخروج كلمات قليلة مع مالك الفندق موضحاً له أننا سنذهب في زيارة متأخرة لأحد الأصدقاء، وقال إن من الممكن أن نقضي جزءاً من الليل هناك. وبعد لحظة كنا في الخارج في الطريق المظلم، تهت علينا رياح باردة وضوء أصفر يومض أمامنا وسط الظلمة ليرشدنا في مهمتنا الغامضة.

لم نواجه صعوبة كبيرة في الدخول إلى الحديقة لأن الثغرات غير المرمّمة كانت كثيرة في جدارها، وبعد أن مشينا وسط الأشجار وصلنا إلى المرج العشبي، ثم عبرناه، وكنا على وشك الدخول من النافذة عندما اندفع من بين شجيرات الغار ما بدا كطفل مشوّه بشع ورمى بنفسه على العشب وأخذ يتلوى، ثم جرى بسرعة على المرج واختفى في الظلام.

همست قائلاً: يا إلهي! هل رأيته؟

جفل هولمز للحظة مثلي وأطبق بيده على معصمي في انفعال، ثم انفجر في الضحك بصوت منخفض ووضع شفتيه على أذني وغمغم قائلاً: إنها

وجدت نفسي داخل غرفة النوم بعد أن حذوت حذو هولمز وخلعت حذائي، وأغلق رفيقي مصراع النافذة بهدوء ونقل المصباح إلى الطاولة، ثم جال بعينه في الغرفة التي كان كل شيء فيها كما رأيته في ضوء النهار، ثم تسلل إلى جانبي ووضع يده على أذني وهي على شكل بوق وهمس ثانية يبطء شديد حتى إنني بذلت جهداً كبيراً حتى أستطيع تمييز الكلمات: أقل صوت يمكن أن يدمر خططنا.

فأومأت لأوضح أنني قد سمعته.

- يجب أن نجلس بلا ضوء وإلا رأانا من خلال فتحة التهوية.

فأومأت ثانية.

- إياك والنعاس، فحياتك تعتمد على يقظتك. احتفظ بمسدسك جاهزاً فقد نحتاجه. سأجلس أنا على أحد جوانب السرير وأنت على ذلك الكرسي.

أخرجت مسدسي ووضعت على ركن الطاولة، وكان هولمز قد أحضر عصا رفيعة طويلة فوضعها على السرير بجانبه ووضع بجانبها علبة من الكبريت وشعلة صغيرة، وبعد ذلك أطفأ المصباح وجلسنا في الظلام.

عائلة لطيفة... هذا هو القرد.

كنت قد نسيت الحيوانات الغريبة التي يميل إليها الدكتور. وهناك فهد أيضاً، وقد نجده، وقد يقفز على أكتافنا في أية لحظة! وأعترف أن بالي اطمأن عندما



Josef Friedrich 1906

رسم جوزف فريدرتش ١٩٠٦

إحدى الغلايات، وفي اللحظة التي سمعنا فيها هذا الصوت هبّ هولمز من السرير وأشعل عود كبريت واندفع يضرب حبل الجرس بعصاه بعنف وصاح قائلاً: رأيته يا واطسون؟ رأيته؟

ولكنني لم أر شيئاً. وفي اللحظة التي أشعل فيها هولمز المصباح سمعت صفارة واضحة منخفضة، ولكن الوهج المفاجئ ومض في عينيّ المتعبتين وجعل من المستحيل عليّ أن أعرف ما الذي كان صديقي يضربه بهذا العنف، ولكنني استطعت -على

لن أتمكن أبداً من نسيان تلك الليلة الرهيبة، فقد ساد صمت تام، ومع ذلك فقد عرفت أن رفيقي يجلس في بقعة تامة على مقربة مني ويشعر بالقدر نفسه من التوتر العصبي الذي أشعر به، وبما أن إغلاق المصراع قد قطع عنا كل الضوء فقد جلسنا في ظلام دامس.

وصلتنا من الخارج صيحات طائر ليليّ من حين إلى آخر، وفي إحدى المرات سمعنا عند نافذتنا تماماً صوت مواء طويل مما أكد لنا أن الفهد طليق، بالإضافة إلى صوت بعيد أجوف لجرس ساعة الكنيسة التي كانت تدق كل ربع ساعة. وكم بدا الوقت طويلاً بين كل دقة والأخرى... دقت الساعة الثانية عشرة، ثم الواحدة، وبعدها الثانية والثالثة، وما زلنا جالسين ننتظر بصمت ما سوف يحدث.

وفجأة ومض ضوء للحظة واختفى في الناحية الأخرى من فتحة التهوية، وتبعته رائحة وقود محترق ومعدن مسخن؛ لقد أشعل شخص مصباحاً في الغرفة المجاورة. ثم سمعت صوتاً منخفضاً لحركة خفيفة، وبعد ذلك ساد الصمت مرة أخرى بالرغم من أن الرائحة ازدادت قوة. وقد جلست منصتاً لنصف ساعة، وبعد ذلك صدر فجأة صوت آخر منخفض جداً، صوتٌ كصوت تسرب دفق صغير من البخار من



Sydney Paget 1892

رسم سديني باجيت ١٨٩٢

ضوء لامع على الخزانة الحديدية التي كان بابها نصف مفتوح، وقد جلس الدكتور غريمسبي رويلوت على كرسي خشبي بجانب هذه الطاولة مرتدياً رداء منزلياً طويلاً رمادي اللون يبرز منه كاحلاه وفي قدميه خفّ أحمر اللون، ورأيت في حضنه السوط الطويل ذا العقب القصير الذي لاحظناه خلال النهار، وكان وجهه مرفوعاً إلى الأعلى وقد ثبتت عيناه في حقلقة

آية حال- أن أرى أنّ وجهه كان شديد الشحوب ويملؤه الرعب والاشمئزاز.

كان قد توقف عن الضرب وأخذ يحملق في فتحة التهوية عندما اخترق صمّت الليل فجأة أكثر الصرخات فظاعة، وأخذ صوت الصرخة يعلو أكثر وأكثر، صيحة متحشجة يمتزج فيها الألم والخوف والغضب معاً في صرخة واحدة مفرعة! وقد قيل بعد ذلك إن الصوت وصل بعيداً إلى القرية حتى بيت القسيس البعيد، فهبّ النائمون من أسرّتهم! أما أنا فقد ارتجف قلبي ووقفت أحدق إلى هولمز وهو يحدق إليّ حتى تلاشت أصداة الصرخة ليسود الصمت مرة أخرى، فشبهت قائلاً: ماذا يعني ذلك؟!

فأجاب هولمز: يعني أن كل شيء قد انتهى، وربما كان ذلك بأفضل شكل ممكن. أحضر مسدسك وسندخل إلى غرفة الدكتور رويلوت.

أشعل هولمز المصباح بوجه متجهّم وقاد الطريق عبر الزواق، ودقّ مرتين على باب الغرفة دون أي رد من الداخل، ثم أدار المقبض ودخل وأنا في أعقابهِ والمسدس في يدي.

كان المنظر الذي رأيته غريباً، فقد كان على الطاولة مصباح داكن غطاؤه نصف مفتوح يُلقي بشعاع



Josef Friedrich 1906

رسم جوزف فريدرتش ١٩٠٦

هذه هي الوقائع الحقيقية لحادثة وفاة الدكتور غريمسباي، ومن غير الضروري أن أطيل القصة (التي طالت جداً بالفعل) بسرّد الأسلوب الذي نقلنا به الخبر إلى الفتاة المروّعة، وكيف أوصلناها في قطار الصباح إلى هارو لنضعها في رعاية خالتها الطيبة، وكيف انتهت جلسة التحقيق الرسمية البطيئة إلى أن الطبيب قد لقي مصيره بينما كان يلعب بحماقة مع حيوان خطير. وما تبقى من تفاصيل القضية أخبرني به هولمز حين كنا عائدّين في اليوم التالي.

قال هولمز: كنت قد توصلت إلى استنتاج خاطئ كلياً، مما يدل -يا عزيزي واطسون- على أن من الخطر القيام بالتحليل المنطقي انطلاقاً من بيانات غير كافية، فكلمة «عصابة» التي استخدمتها الفتاة المسكينة وهي تحاول تفسير المنظر الذي لمحته في ضوء شعلة عود الكبريت كانت كافية لوضعي على الطريق الخطأ. كما تعلم فالعصابة كلمة ذات معنيين؛ فهي تعني الجماعة من الناس، لكنها تعني أيضاً ما يُعصّب به الرأس. الحسنة الوحيدة التي أدعيتها لنفسي هي أنني أعدت النظر في موقعي في اللحظة التي أصبح واضحاً لي فيها أن الخطر الذي هدّد شاعلة الغرفة، كائناً ما كان، لم يكن من الممكن أن يدخل من الشباك أو الباب، فاتجه انتباهي سريعاً -كما أشرت إليك من

جامدة فزعة إلى زاوية السقف، وفوق حاجبيه عصابة صفراء غريبة فيها نُقْطٌ بُيَّنةٌ بدا أنها مربوطة بشدة حول رأسه، وحين دخلنا لم يصدر منه لا صوت ولا حركة.

همس هولمز قائلاً: العصابة... العصابة المرقّطة.

فخطوت خطوة إلى الأمام، وفي لحظة بدأت عصابة الرأس الغريبة بالحركة، فقد شبّ من وسط شعر الرجل رأس ضخّم ورقبة منتفخة لأفعى مقرّزة.

صاح هولمز: إنها أفعى المستنقع، وهي أخطر الأفاعي التي تعيش في الهند. لقد قتلته لدغتها في أقل من عشر ثوان! الشرير تدّ على الشرير، ومدبّر المكايد يقع في الحفرة التي يحفرها للآخرين. فلنعد هذا المخلوق إلى عرينه، وعندها يمكننا أن نقل الأنسة ستونر إلى مكان آمن ونخبر شرطة المقاطعة بما حدث.

وبينما كان يتكلم سحب السوط من حوض القتل بسرعة وألقى بالأنشطة حول رقبة الأفعى الزاحفة فسحبها من مقعدها المروّع ورمّاها في الخزانة الحديدية وأغلق الباب عليها.

* * *

ضحية له عاجلاً أو آجلاً.

قبل - إلى فتحة التهوية وإلى الحبل الذي يتدلى وصولاً إلى السرير.

وحين اكتشفت أنه مزيف وأن السرير مثبت في الأرض ساورني الشك في أن الحبل قد وُضع هناك ليكون بمثابة الجسر لشيء يعبر الفتحة حتى يصل إلى السرير، وقد خطرت على بالي فكرة الأفعى فوراً، وحين ربطت هذه الحقيقة بما عرفناه سابقاً من أمر تزويد الدكتور بحيوانات من الهند شعرت أنني على المسار الصحيح.

إن فكرة استخدام نوع من أنواع السم الذي لا يُكتشف بالاختبارات الكيميائية كانت من الأفكار التي لا تخطر إلا على بال شخص ماهر وقاس وحاصل على تعليم شرقي، وسوف يحتاج الأمر إلى طبيب شرعي حاذٍ النظر ليستطيع تمييز الثقبين الصغيرين الداكنين حيث قام نابا الأفعى بعملهما. وعند ذلك فكرت في الصغير، فقد كان على الدكتور أن يسترجع الثعبان قبل أن يكشفه ضوء النهار، ولعله قد درّبه باستخدام اللبن الذي رأيناه بحيث يعود إليه عندما يستدعيه. وهكذا فقد دأب على وضع الثعبان في فتحة التهوية في الوقت المناسب كل ليلة، وكان متأكداً من أن الثعبان سوف يزحف على الحبل إلى الأسفل حتى يصل إلى السرير. وقد يلدغ شاة السرير وقد لا يلدغها، فربما نجت منه ليلة بعد ليلة لمدة أسبوع، ولكن لا أن تسقط



Richard Lebemon 1987

رسم رتشارد لينسون ١٩٨٧

صدر من هذه المجموعة

مغامرات شيرلوك هولمز

- (١) فضيحة في بوهيميا
- (٢) قضية هوية
- (٣) عصبة ذوي الشَّعر الأحمر
- (٤) لغز وادي بوسكومب
- (٥) بذور البرتقال الخمس
- (٦) ذو الشَّفة الملتوية
- (٧) مغامرة الجوهرة الزرقاء
- (٨) لغز العصاة الرقطاء
- (٩) مغامرة إيهام المهندس
- (١٠) مغامرة النبيل الأعزب
- (١١) مغامرة تاج الزمرد
- (١٢) منزل الأشجار النحاسية

لقد وصلت إلى هذه النتيجة قبل أن أدخل تلك الغرفة، ثم أظهر لي الفحص الذي أجرته على الكرسي أنه اعتاد الوقوف عليه، وهو أمر ضروري إذا أراد الوصول إلى فتحة التهوية. وكانت مشاهدة الخزنة وصحن الحليب والأنشطة كافية لتبديد أية شكوك باقية، فالصبر المعدني الذي سمعته الأنسة ستونر كان سببه إغلاق زوج أمها باب الخزنة بسرعة على قاطنها المرعب. وأنت تعرف الخطوات التي قمْتُ بها بعدما وَضَح لي الأمر، فعندما سمعت فحيح ذلك المخلوق - كما سمعته أنت أيضاً بلا شك - أشعلت الضوء وهاجمته على الفور.

- وكان النتيجة أن الثعبان هرب عائداً عبر فتحة التهوية.

- وبذلك انقلب على سيده في الناحية الأخرى؛ فقد أصابته بعض الضربات من عصاي وأثارت غريزته الدفاعية فانقضَّ على الشخص الأول الذي رآه، وبهذه النتيجة أكون مسؤولاً بشكل غير مباشر عن موت الدكتور غريمسباي رويلوت، لكنني لن أزعم أن هذا الأمر يمكن أن يؤرَّق ضميري في أي يوم من الأيام.

* * *

-تمت-



مغامرات

شيرلوك هولمز

تأليف: آرثر كونان دويل

The Adventures of Sherlock Holmes



The Adventure of the Speckled Band



ISBN 2-1957-3329-5



9782195733290



الأجيال

للترجمة والنشر

ALJAL Publishers